

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحٰنَ الَّذِي اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهٗ وَلِرَبِّهٖ وَمِنۡ اٰيٰتِنَا اِنَّهٗ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَاَتَيْنَا مُوسٰى الْكِتٰبَ وَجَعَلْنَاهٗ هُدًى لِّبَنِي إِسْرٰٓءِيلَ اَلَّا تَتَّخِذُوْا مِنْ دُوْنِيْ وَكِيْلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّنۡ حَمَلَتَا مَعَ نُوحٍ اِنَّهٗ وَكَانَ عَبْدًا شَكُوْرًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا اِلَىٰ بَنِي إِسْرٰٓءِيلَ فِي الْكُتُبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْاَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيْرًا ﴿٤﴾ فَاِذَا جَآءَ وَعْدُ اُولٰٓئِهٖمَا بَعَثْنَا عَلَيْنِكُمْ عِبَادًا لَّا تُاْوِيْ اِلَيْهِمْ شَدِيْدِيْنَ فَجَاسُوْا خِلٰلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُوْلًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُوْفَةَ عَلَيْهِمْ وَاَمَدَدْنَاكُمْ بِاَمْوَالٍ وَّبَنِيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ اَكْثَرِ نَفِيْرًا ﴿٦﴾ اِنْ اَحْسَنْتُمْ اَحْسَنَّا لَكُمْ لَآ نَفْسِكُمْ وَاِنْ اَسَآءْتُمْ فَلَهَا فَاِذَا جَآءَ وَعْدُ الْاٰخِرَةِ لِيَسْتَوْا وُجُوْهُكُمْ وَلِيَدْخُلُوْا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوْهُ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَّلِيَلْتَبَرُوْا مَا عَلَوْا تَتَبِيْرًا ﴿٧﴾

● من مَقاصِدِ السُّورَةِ:
بيان كمال الرسالة المحمدية، وفيها إشارات وبشارات للرسالة مضموناً ومستقبلاً.

● التَّفْسِيْرُ:

① نزه الله سبحانه وتعظم؛ لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فهو الذي ستر عبده محمداً ﷺ روحاً وجسداً يقظة بجزء من الليل من المسجد الحرام إلى مسجد بيت المقدس الذي باركنا حوله بالثمار والزرع وبمنازل الأنبياء ﷺ؛ ليرى بعض آياتنا الدالة على قدرة الله سبحانه، إنه هو السميع فلا يخفى عليه مسموع، البصير فلا يخفى عليه مبصر.

② وأعطينا موسى ﷺ التوراة وجعلناها هادية ومرشدة لبني إسرائيل، وقلنا لبني إسرائيل: لا تتخذوا من دوني وكيلاً تفوضون إليه أموركم، بل توكلوا عليّ وحدي.

③ أنتم من نسل من أنعمنا عليهم بالنجاة مع نوح ﷺ من الغرق في الطوفان، فتذكروا هذه النعمة، واشكروا الله تعالى بعبادته وحده وطاعته، واقتدوا في ذلك بنوح، فإنه كان كثير الشكر لله تعالى.

④ وأخبرنا بني إسرائيل وأعلمناهم في التوراة

أنه لا بد أن يقع منهم فساد في الأرض بفعل المعاصي والبطر مرتين، وليستغفنَّ على الناس بالظلم والبغي متجاوزين الحد في الاستعلاء عليهم.

⑤ فإذا حصل منهم الإفساد الأول سلطنا عليهم عباداً لنا أصحاب قوة وبطش عظيم يقتلونهم ويشردونهم، فجالوا بين ديارهم يفسدون ما مروا عليه، وكان وعد الله بذلك واقعاً لا محالة.

⑥ ثم أعدنا لكم - يا بني إسرائيل - الدولة والغلبة على من سلطوا عليكم عندما تبتم إلى الله، وأمددناكم بأموال بعد نهبا، وأولاد بعد سيهم، وصيرناكم أكثر جمعاً من أعدائكم.

⑦ إن أحسستم - يا بني إسرائيل - أعمالكم، وجتتم بها على الوجه المطلوب، فجزاء ذلك عائد لكم، فالله غني عن أعمالكم، وإن أسأتم أفعالكم فعاقبة ذلك عليكم، فالله لا ينفعه إحسان أفعالكم، ولا تضره إساءتها، فإذا حصل الإفساد الثاني سلطنا عليكم أعداءكم ليخزوكم، ويجعلوا المساءة ظاهرة على وجوهكم، لما يذيقونكم من صنوف الهوان، وليدخلوا بيت المقدس ويخربوه كما دخلوه وخربوه المرة الأولى، وليدمروا ما غلبوا عليه من البلاد تدميراً كاملاً.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- في قوله: ﴿الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا﴾: إشارة لدخوله في حكم الإسلام؛ لأن المسجد موطن عبادة المسلمين.
- بيان فضيلة الشكر، والاقْتداء بالشاكرين من الأنبياء والمرسلين.
- من حكمة الله وسنته أن يبعث على المفسدين من يمنعه من الفساد؛ لتتحقق حكمة الله في الإصلاح.
- التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي؛ لثلاث يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، فسنة الله واحدة لا تبدل ولا تحول.

عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَرْحَمَكَ وَإِنْ عُدْتُمْ عَدَاؤُنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
 حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
 وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
 وَجَعَلْنَا آيَلَهُ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ مِّنْ مَّوَدَّاتِ آيَةِ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مَبْصُرَةً لِّتَبْتَغُوا أَفْضَالَ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
 السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَا تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
 إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا طَلَبَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
 يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَفَرَأَيْتَ لَكَ كَفًى بِنَفْسِكَ أَيُّومٍ عَلَيْكَ حَسِيبًا
 ﴿١٤﴾ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
 عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
 رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُنْقَرِفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
 فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ
 مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

٨) عسى ربكم - يا بني إسرائيل - أن يرحمكم بعد هذا الانتقام الشديد إن تبتم إليه، وأحسنت أعمالكم، وإن رجعتم إلى الإفساد مرة ثالثة أو أكثر رجعنا إلى الانتقام منكم، وصيرنا جهنم للكافرين بالله فراشاً ومهاداً لا يتخلون عنه.

٩) إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ يدل على أحسن السبل وهي سبيل الإسلام، ويخبر المؤمنين بالله الذين يعملون الأعمال الصالحات بما يسرهم، وهو أن لهم ثواباً عظيماً من الله.

١٠) ويخبر الذين لا يؤمنون بيوم القيامة بما يسوؤهم، وهو أننا أعدنا لهم يوم القيامة عذاباً موجعاً.

١١) ويدعو الإنسان لجهله على نفسه وولده وماله عند الغضب بالشور، مثل دعائه لنفسه بالخير، فلو استجبنا دعاءه بالشر لهلك، وهلك ماله وولده، وكان الإنسان مجبولاً على العجلة؛ ولذا فإنه قد يتعجل ما يضره.

١٢) وخلقنا الليل والنهار علامتين دالتين على وحدانية الله وقدرته؛ لما فيهما من الاختلاف في الطول والقصر والحرارة والبرودة، فجعلنا الليل مظلاً للراحة والنوم، وجعلنا النهار مضيئاً يبصر فيه الناس فيسعون لمعاشهم، رجاء أن تعلموا بتعاقبهما عدد السنين، وما تحتاجون إليه من حساب أوقات الشهور والأيام

والساعات، وكل شيء بيّناه تبييناً لتمييز الأشياء، ويتضح الموحى من المُنْطَل.

١٣) وكل إنسان جعلنا عمله الصادر عنه ملازماً له ملازمة القلادة للعنق، لا ينفصل عنه حتى يُحاسب عليه، ونخرج له يوم القيامة كتاباً فيه جميع ما عمل من خير وشر يجده أمامه مفتوحاً مبسوطاً.

١٤) ونقول له يومئذ: اقرأ - أيها الإنسان - كتابك، وتوَلَّ حساب نفسك على أعمالك، كفى بنفسك يوم القيامة محاسباً لك.

١٥) من اهتدى إلى الإيمان فثواب هدايته له، ومن ضل فعقاب ضلاله عليه، ولا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى، وما كنا معذبين قوماً حتى نقيم عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم.

١٦) وإذا أردنا إهلاك قرية لظلمها أمرنا من أبطرتهم النعمة بالطاعة فلم يمتثلوا، بل عصوا وخرجوا عن الطاعة، فَحَقَّ عليهم القول بالعذاب المُستأصل، فأهلكناهم هلاك استئصال.

١٧) وما أكثر الأمم المكذبة التي أهلكناها من بعد نوح مثل عاد وثمود! وكفى بربك - أيها الرسول - بذنوب عباده خبيراً بصيراً، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • من اهتدى بهدي القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره. • التحذير من الدعوة على النفس والأولاد بالشر. • اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقص وتعاقبهما، وضوء النهار وظلمة الليل، كل ذلك دليل على وحدانية الله ووجوده وكمال علمه وقدرته. • تقرر الآيات مبدأ المسؤولية الشخصية، عدلاً من الله ورحمة بعباده.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ
 جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ
 الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ
 سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا تُمَدُّهُمْ وَلَا يَمَدُّوهُمْ إِلَّا فِي
 عَطَاءٍ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ
 فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ
 تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعَّدَ مَذْمُومًا مَخْدُورًا ﴿٢٢﴾
 * وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا الْآيَاتِ وَالْبِالِغِينَ إِحْسَانًا مِمَّا
 يَبْلُغُونَ عِنْدَكَ الْأَكْبَرِ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا
 أُفٍّ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا
 جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي
 صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَادِقِينَ
 فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتَاكَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ
 وَالْمَسْكِينِ وَالْأَبْنِ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ
 كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

﴿١٨﴾ من كان يقصد بأعمال البر الحياة الدنيا، ولا يؤمن بالآخرة، ولا يُلقِي لها بالاً، عَجَلْنَا له فيها ما نشاءه نحن لا ما يشاءه هو من نعيم، ثم جعلنا له جهنم يدخلها يوم القيامة يعاني حرها، مذمومًا على اختياره الدنيا وكفره بالآخرة، مطرودًا من رحمة الله.

﴿١٩﴾ ومن قصد ثواب الآخرة بأعمال البر، وسعى لها سعيها الخالي من الرياء والسمعة، وهو مؤمن بما أوجب الله الإيمان به، فأولئك المتصفون بتلك الصفات كان سعيهم مقبولًا عند الله، وسيجازيهم عليه.

﴿٢٠﴾ نزيد كلاً من هذين الفريقين الفاجر والبر، من عطاء ربك - أيها الرسول - دون انقطاع، وما كان عطاء ربك في الدنيا ممنوعًا عن أحد، برًا كان أو فاجرًا.

﴿٢١﴾ تأمل - أيها الرسول - كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا في الرزق والمراتب، وللآخرة أعظم تفاوتًا في درجات النعيم من الحياة الدنيا، وأعظم تفضيلًا، فليحرص المؤمن عليها.

﴿٢٢﴾ لا تجعل - أيها العبد - مع الله معبودًا آخر تعبده، فتصير مذمومًا عند الله، وعند عباده الصالحين لا حامد لك، مخدولًا منه لا ناصر لك.

﴿٢٣﴾ وأمر ربك - أيها العبد - وأوجب ألا يُعبد غيره، وأمر بالإحسان إلى الوالدين خاصة عند بلوغ الكبر، فإن بلغ أحد الوالدين الكبر أو بلغه كلاهما عندك، فلا تتضجر منهما بالتفوه بما يدل على ذلك، ولا تزجرهما ولا تغلظ عليهما في القول، وقل لهما قولًا كريمًا فيه لين ولطف.

﴿٢٤﴾ وتواضع لهما ذلًا ورحمة بهما، وقل: يا رب، ارحمهما رحمة لأجل تربيتكما إياي في صغري.

﴿٢٥﴾ ربكم - أيها الناس - أعلم بما في ضمائركم من الإخلاص له في العبادة وأعمال الخير، والبر بالوالدين، فإن كانت نياتكم في عبادتكم ومعاملتكم لوالديكم وغيرهما صالحة فإنه سبحانه كان للرجاعين إليه بالتوبة غفورًا، فمن تاب من تقصيره السابق في طاعته لربه أو لوالديه غفر الله له.

﴿٢٦﴾ وأعط - أيها المؤمن - القريب حقه من صلة رحمه، وأعط الفقير المحتاج، وأعط المتقطع في سفره، ولا تنفق مالك في معصية، أو على وجه الإسراف.

﴿٢٧﴾ إن المنفقين أموالهم في المعاصي، والمُسرفين في الإنفاق كانوا إخوان الشياطين، يطعونهم فيما يأمرونهم به من التبذير والإسراف، وكان الشيطان لربه كفورًا، فلا يعمل إلا بما فيه معصية، ولا يأمر إلا بما يستخط ربه.

● من قَوَائِدِ الآيَاتِ:

- ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه؛ لثواب على ذلك.
- أن النعم في الدنيا لا ينبغي أن يُستَدل بها على رضا الله تعالى؛ لأن الدنيا قد تحصل مع أن عاقبتها المصير إلى عذاب الله.
- الإحسان إلى الوالدين فرض لازم واجب، وقد قرن الله شكرهما بشكره لعظيم فضلها.
- يحرم الإسلام التبذير، والتبذير إنفاق المال في غير حقه.

وَأَمَّا تَعْرِضُنْ عَنْهُمْ أَيَّتَعَاءَ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ بَيِّسُطُ الرِّزْقِ
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْفًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ الَّذِي آتَاهُ رَبُّكَ فَحِشَّةً وَسَاءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي
الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَضْمُونًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَرَوُتُم بِأَلْسِنَتِكُم
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ
السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ
الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

﴿٢٨﴾ وإن امتنعت عن إعطاء هؤلاء؛ لعدم وجود ما تعطيتهم إياه منتظرًا ما يفتح الله به عليك من رزق، فقل لهم قولًا ميسرًا، مثل أن تدعو لهم بسعة الرزق، أو تعددهم بالعطاء إن رزقك الله مالا.

﴿٢٩﴾ ولا تمسك يدك عن الإنفاق، ولا تسرف في الإنفاق، فتصير ملوما ملومك الناس على بخلك إن أمسكت يدك عن الإنفاق، منقطعًا عن الإنفاق لإسرافك، فلم تجد ما تنفقه.

﴿٣٠﴾ إن ربك يوسع الرزق على من يشاء، ويضيقه على من يشاء لحكمة بالغة، إنه كان عباده خبيرًا بصيرًا، لا يخفى عليه منهم شيء، فيصرف أمره فيهم بما يشاء.

﴿٣١﴾ ولا تقتلوا أولادكم خوفًا من الفقر مستقبلًا إذا أنفقتهم عليهم، نحن نتكفل برزقهم، ونتكفل برزقكم أنتم، إن قتلهم كان إثما كبيرًا؛ إذ لا ذنب لهم ولا سبب يستوجب قتلهم.

﴿٣٢﴾ واحذروا الزنى، وتجنبوا ما يشجع عليه، إنه كان متناهيا في القبح، وساء طريقًا لما يؤديه من اختلاط الأنساب، ومن عذاب الله.

﴿٣٣﴾ ولا تقتلوا النفس التي عصم الله دمهًا بإيمان أو بأمان إلا إن استحقت القتل برودة، أو بزنى بعد إحصان، أو بقصاص، ومن قُتل مظلومًا دون سبب يبيح قتله فقد جعلنا لمن يلي أمره من ورثته تسلطًا على قاتله، فله أن يطالب

بقتله قصاصًا، وله العفو دون مقابل، وله العفو وأخذ الدية، فلا يتجاوز الحد الذي أباحه الله له بالتمثيل بالقاتل، أو بقتله بغير ما قتل به، أو بقتل غير القاتل، إنه كان مؤيِّدًا معانًا.

﴿٣٤﴾ ولا تتصرفوا في مال من مات والده من الأطفال إلا بما هو أصلح له من تنميته وحفظه حتى يبلغ كمال عقله ورشده، وأوفوا بما بينكم وبين الله، وبما بينكم وبين عباده من عهد دون نقض أو نقص، إن الله يسأل معطي العهد يوم القيامة: هل وفى به فيثبه أو لم يف به فيعاقبه.

﴿٣٥﴾ وأنمو الكيل إذا كلتم لغيركم ولا تخسروه، وزنوا بالميزان العدل الذي لا ينقص شيئًا ولا يبخسه، ذلك الإيفاء للكيل والوزن خير لكم في الدنيا والآخرة، وأحسن عاقبة من التطفيف بنقص المكييل والموازين.

﴿٣٦﴾ ولا تتبع - يا ابن آدم - ما لا علم لك به، فتتبع الظنون والحدس، إن الإنسان مسؤول عما استخدم فيه سمعه وبصره وفؤاده من خير أو شر، فيثاب على الخير، ويعاقب على الشر.

﴿٣٧﴾ ولا تمش في الأرض تكبرًا واختيالًا، إنك إن تمش فيها متعاليًا لن تقطع الأرض بمشيتك، ولن تصل قامتك إلى ما وصلت إليه الجبال طولًا وارتفاعًا، فعلام التكبر إذن؟!

﴿٣٨﴾ كل ما سبق ذكره كان السيئ منه عند ربك - أيها الإنسان - ممنوعًا، لا يرضى الله عن مرتكبه، بل يبغضه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • الأدب الرفيع هو رد ذوي القربى بلطف، ووعدهم وعدًا جميلًا بالصلة عند اليسر، والاعتذار إليهم بما هو مقبول. • الله أرحم بالأولاد من والديهم؛ فنهى الوالدين أن يقتلوا أولادهم خوفًا من الفقر والإملاق وتكفل برزق الجميع. • في الآيات دليل على أن الحق في القتل للولي، فلا يُقتَص إلا بإذنه، وإن عفا سقط القصاص. • من لطف الله ورحمته باليتيم أن أمر أوليائه بحفظه وحفظ ماله وإصلاحه وتنميته حتى يبلغ أشده.

ذَلِكَ وَمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ فَتُنْفِقَ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿١٦﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ
 بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١٨﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ رِءُوسُ إِلَهَةٍ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا ابْتِغُوا إِلَيَّ الْعَرْشَ سَيِّئًا
 ﴿١٩﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ سُبْحٰهُ لَهُ السَّمٰوٰتُ
 السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَيْسِبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
 لَا تَفْقَهُونَ شَيْئًا مِنْ حَمْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٢١﴾ وَإِذَا قُرَأَتْ
 الْقُرْءَانُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
 مَسُورًا ﴿٢٢﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ
 وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتَ رَبُّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَعَىٰ آذَانَهُمْ نُفُورًا ﴿٢٣﴾
 نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ يُخَوِّى
 إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٢٤﴾ أَنْظِرْ
 كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا أَفَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٢٥﴾
 وَقَالُوا أَوْءَاذَنَا كِتَابٌ مُغْتَابٌ مَلْفُوفٌ أَلَمْ نَحْنُ الْمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٢٦﴾

﴿١٦﴾ ذلك الذي وضحناه من الأوامر والنواهي والأحكام مما أوحاه إليك ربك، ولا تتخذ - أيها الإنسان - مع الله معبودًا آخر، فترمى في جهنم يوم القيامة ملومًا تلوّمك نفسك ويلومك الناس، مطرودًا عن كل خير.

﴿١٧﴾ يا من تدعون أن الملائكة بنات الله، أفأختصكم ربكم - أيها المشركون - بالذكر من الأولاد، واتخذ لنفسه الملائكة بنات؟ تعالى الله عما تقولون، إنكم لتقولون على الله سبحانه قولًا بالغ القبح حيث تنسبون له الولد، وتزعمون أن له البنات إمعانًا في الكفر به.

﴿١٨﴾ ولقد أوضحنا في هذا القرآن الأحكام والمواظ والأمثال ليتعظ بها الناس، فيسلكوا ما ينفعهم، ويتركوا ما يضرهم، والحال أن بعضهم ممن انتكست فطرتهم لم يزد بذلك إلا بعدًا عن الحق وكرهية له.

﴿١٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لو كان مع الله تعالى معبودات كما يقولون افتراء وكذبًا إذن لطلبت تلك المعبودات المزعومة إلى الله ذي العرش طريقًا لتغالبه على ملكه وتنازعه فيه.

﴿٢٠﴾ تنزه الله سبحانه وتقدس عما يصفه به المشركون، وتعالى عما يقولونه علوًّا كبيرًا.

﴿٢١﴾ تسبح لله السماوات، وتسبح لله الأرض، ويسبح لله من في السماوات والأرض من المخلوقات، وما من شيء إلا ينزهه قارئًا تنزيهه إياه بالثناء، ولكن لا تفهمون كيفية تسييحهم، فأنتم لا تفهمون إلا تسييح من يسيح بلسانكم، إنه تعالى كان حلِيمًا لا يعاجل بالعقوبة، غفورًا لمن تاب إليه.

﴿٢٢﴾ وإذا قرأت - أيها الرسول - القرآن فسمعوا ما فيه من الزواجر والمواظ جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بيوم القيامة حجابًا ساترًا يمنعهم من فهم القرآن عقابًا لهم على إعراضهم.

﴿٢٣﴾ وصيرنا على قلوبهم أغطية حتى لا يفهموا القرآن، وصيرنا في آذانهم ثقلاً حتى لا يسمعه سماع انتفاع، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده، ولم تذكر آلهتهم المزعومة رجعوا على أعقابهم متباعدين عن إخلاص التوحيد لله.

﴿٢٤﴾ نحن أعلم بطريقة استماع رؤسائهم للقرآن، فهم لا يريدون الاهتداء به، بل يريدون الاستخفاف واللغو عند قراءتك، ونحن أعلم بما يتناجون به من التكذيب والصد عنه، حين يقول هؤلاء الظالمون لأنفسهم بالكفر: لا تتبعون - أيها الناس - إلا رجلاً مسحورًا اختلط عقله.

﴿٢٥﴾ تأمل - أيها الرسول - لتعجب مما وصفوك به من صفات مذمومة مختلفة، فأنحرفوا عن الحق، وحراروا فلم يهتدوا إلى طريق الحق.

﴿٢٦﴾ وقال المشركون إنكارًا للبعث: إذا متنا وصرنا عظامًا، وبليت أجسامنا، أنبعث بعثًا جديدًا؟ إن هذا لمستحيل.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • الزعم بأن الملائكة بنات الله افتراء كبير، وقول عظيم الإثم عند الله ﷻ. • أكثر الناس لا تزيدهم آيات الله إلا نفورًا؛ لبغضهم للحق ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل. • ما من مخلوق في السماوات والأرض إلا يسبح بحمد الله تعالى فينبغي للعبد ألا تسبقه المخلوقات بالتسييح. • من حلم الله على عباده أنه لا يعاجلهم بالعقوبة على غفلتهم وسوء صنيعهم، فرحمته سبقت غضبه.

﴿٥٦﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٦﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قَوْلُ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥٧﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قِيلًا ﴿٥٨﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٩﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ إِيَّائِنَا لَهُ الْيُسُوفُ وَأَنْ يُسَأَلُوا يُعَذِّبُهُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٦٠﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ﴿٦١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٦٣﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ تَوْفَرِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦٤﴾

﴿٥٦﴾ قل لهم - أيها الرسول -: كونوا - أيها المشركون - إن استطعتم حجارة في شدتها، أو كونوا حديدًا في قوته، ولن تستطيعوا ذلك.

﴿٥٧﴾ أو كونوا خلقًا آخر أعظم منهما مما يعظم في صدوركم، فإن الله معيذكم كما بدأكم، ومحبيكم كما خلقكم أول مرة، فسيقول هؤلاء المعاندون: من يعيدنا أحياء بعد موتنا؟ قل لهم: يعيذكم الذي خلقكم أول مرة على غير مثال سابق، فسيحركون رؤوسهم ساخرين من ردك عليهم، ويقولون مستبعبين: متى هذه الإعادة؟! قل لهم: لعلها قريبة، فكل ما هو أت قريب.

﴿٥٨﴾ يعيذكم الله يوم يناديكم إلى أرض المحشر، فتستجيبون منقادين لأمره، حامدين إياه، وتظنون أنكم ما مكنتم في الأرض إلا زمنًا قليلًا. ﴿٥٩﴾ وقل - أيها الرسول - لعبادي المؤمنين بي: يقولوا الكلمة الطيبة عندما يحاورون، ويجتنبوا الكلمة السيئة المنفرة؛ لأن الشيطان يستغلها فيسعى بينهم بما يفسد عليهم حياتهم الدنيوية والأخروية، إن الشيطان كان للإنسان عدوًّا واضح العداوة، فعليه أن يحذر منه.

﴿٦٠﴾ ربكم - أيها الناس - أعلم بكم، فلا يخفى عليه منكم شيء، إن يشأ أن يرحمكم رحمكم بأن يوفقكم للإيمان والعمل الصالح، وإن يشأ أن يعذبكم عذبتكم بأن يخذلكم عن الإيمان ويميتكم على الكفر، وما بعثناك - أيها الرسول - عليهم وكيلاً تجبرهم على الإيمان، وتمنعهم من الكفر، وتحصي عليهم أعمالهم، إنما أنت مبلغ عن الله ما أمرك بتبليغه.

﴿٦١﴾ وربك - أيها الرسول - أعلم بكل من في السماوات والأرض، وأعلم بأحوالهم وبما يستحقون، ولقد فضلنا بعض الأنبياء على بعض بكثرة الأتباع وبلإتزال الكتب، وأعطينا داود كتابًا هو الزبور.

﴿٦٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: ادعوا - أيها المشركون - الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله إن نزل بكم ضرر، فهم لا يملكون دفع الضر عنكم، ولا يملكون نقله إلى غيركم لعجزهم، ومن كان عاجزًا لا يكون إلهاً. ﴿٦٣﴾ أولئك الذين يدعونهم من الملائكة ونحوهم هم أنفسهم يطلبون ما يقربهم إلى الله من العمل الصالح، ويتنافسون أيهم أقرب إليه بالطاعة، ويرجون أن يرحمهم، ويخافون أن يعذبهم، إن عذاب ربك - أيها الرسول - مما ينبغي أن يحذر.

﴿٦٤﴾ وما من قرية أو مدينة إلا نحن منزلون بها العذاب والهلاك في الحياة الدنيا بسبب كفرها، أو مبتلوها بعقاب قوي بالقتل أو غيره بسبب كفرها، كان ذلك الإهلاك والعذاب قضاءً إلهيًّا مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- القول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح، فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره.
- فاضل الله بين الأنبياء بعضهم على بعض عن علم منه وحكمة.
- الله لا يريد عباده إلا ما هو الخير، ولا يأمرهم إلا بما فيه مصلحتهم.
- علامة محبة الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله، وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله والنصح فيها.

﴿١٠٨﴾ وما تركنا إنزال العلامات الحسية الدالة على صدق الرسول التي طلبها المشركون كإحياء الموتى ونحوه، إلا لأننا أنزلناها على الأمم الأولى فكذبوا بها، فقد أعطينا ثمود آية عظيمة واضحة، هي الناقة، فكفروا بها فعاجلناهم بالعذاب، وما نبعث بالآيات على أيدي الرسل إلا تخويفاً لأممهم؛ لعلهم يسلمون.

﴿١٠٩﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته، والله مانعك منهم، فبلغ ما أمرت بتبليغه، وما جعلنا ما أريناك عياناً ليلة الإسراء إلا امتحاناً للناس، هل يصدقون به، أم يكذبون به؟ وما جعلنا شجرة الزقوم المذكور في القرآن أنها تنبت في أصل الجحيم إلا ابتلاء لهم، فإذا لم يؤمنوا بهاتين الآيتين فلن يؤمنوا بغيرهما، ونخوفهم بإنزال الآيات فما يزدادون بالتخويف بإنزالها إلا زيادة في الكفر وتمادياً في الضلال.

﴿١١٠﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية لا سجود عبادة، فامتثلوا وسجدوا كلهم له، لكن إبليس أبى تكبراً أن يسجد له قائلاً: أأسجد لمن خلقته من الطين، وأنا خلقتني من النار؟! فأنا أشرف منه.

وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلَادُ ۖ
وَعَاقِبَتُنَا ثَمُودُ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۖ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿١٠٨﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا
الرُّءْيَا اللَّيْلِ أَرِيكَ إِلَّا فَتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفَهُمْ فَمَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طُعِينًا كَبِيرًا ﴿١٠٩﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿١١٠﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَنِي عَلَىٰ لَيْنٍ أَخَّرْتَنِي إِلَيْهِ يَوْمَ الْفِتْنَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١١﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَنْ جَزَاءُ مَوْفُورًا ﴿١١٢﴾ وَأَسْتَفْزِزُ مَنْ أَسْطَعَتْ
مِنْهُمْ بَصُوتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَبِيرِكَ وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
عُرُورًا ﴿١١٣﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١١٤﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفُلُوكَ فِي
الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١١٥﴾

﴿١١٦﴾ قال إبليس لربه: أرايت هذا المخلوق الذي كرمته عليّ بأمرك لي بالسجود له؟ لئن أبقيتني حيّاً إلى آخر الحياة الدنيا لأستميلن أولاده ولأغوينهم عن صراطك المستقيم إلا قليلاً ممن عصمت منهم، وهم عبادك المخلصون.

﴿١١٧﴾ قال له ربه: اذهب أنت ومن أطاعك منهم، فإن جهنم هي جزاؤك وجزاؤهم جزاء كاملاً موفراً على أعمالكم.

﴿١١٨﴾ واستخفف من استطعت أن تستخفه منهم بصوتك الداعي إلى المعصية، وصحّ عليهم بفرسانك ومشاتك الداعين لطاعتك، وشاركهم في أموالهم بتزيين كل تصرف يخالف الشرع، وشاركهم في أولادهم بادعائهم كذباً، وتحصيلهم بالزنى، وتعبيدهم لغير الله عند التسمية، وزين لهم الوعود الكاذبة والأمانى الباطلة، وما يعدهم الشيطان إلا الوعود الكاذبة التي تخدعهم.

﴿١١٩﴾ إن عبادي المؤمنين العاملين بطاعتي ليس لك - يا إبليس - عليهم تسلط؛ لأن الله يدفع عنهم شركك، وكفى باله وكيلاً لمن اعتمد عليه في أموره.

﴿١٢٠﴾ ربكم - أيها الناس - هو الذي يُسَيِّرُ لكم السفن في البحر رجاء أن تطلبوا رزقه بأرباح التجارة وغيرها، إنه كان بكم رحيمًا حيث يسر لكم هذه الوسائل.

﴿١٢١﴾ مِنْ هَوَاطِدِ الْآيَاتِ:

- من رحمة الله بالناس عدم إنزاله الآيات التي يطلبها المكذبون حتى لا يعاجلهم بالعقاب إذا كذبوا بها.
- ابتلى الله العباد بالشیطان الداعي لهم إلى معصية الله بأقواله وأفعاله.
- من صور مشاركة الشيطان للإنسان في الأموال والأولاد: ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وعدم تأديب الأولاد.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا آيَاتُهُ فَلَمَّا نَجَدَكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمْسَرْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمْسَرْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنثَىٰ بِمَا مَلَئَتْهُنَّ أَفْئِدَةٌ أَوْ يَ كِتَابًا يُسَمِّيهِنَّ قَائِلًا لِيَأْتِيَنَّكَ يَاقْرَأُ وَكُتِبَ لَهُنَّ مَا كَفَرْنَ مِن بَدُونٍ وَلَا يَظْلِمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ لَئِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تُحِذُّوكَ وَكُ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكِنُ الْيَهُمَ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذْنُكَ يَضَعُفُ الْحَيَوةَ وَضَعْفُ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

﴿٦٧﴾ وإذا أصابكم - أيها المشركون - بلاء ومكروه في البحر حتى خشيتم الهلاك غاب عن خاطركم ما كنتم تعبدون من دون الله، ولم تذكروا إلا الله فاستغثتم به، فلما أغاثكم وسلمكم مما تخافونه، وصرتم في البر أعرضتم عن توحيدِه ودعائه وحده، ورجعتم إلى أصنامكم، وكان الإنسان جحودًا لنعم الله.

﴿٦٨﴾ أفأمستم - أيها المشركون - حين نجاكم إلى البر أن يجعله الله ينهار بكم؟ أو أمستم أن ينزل عليكم حجارة من السماء تمطركم مثل ما فعل بقوم لوط، ثم لا تجدوا حافظًا يحفظكم، ولا ناصرًا يمنعكم من الهلاك.

﴿٦٩﴾ أم أمستم أن يعيدكم الله إلى البحر مرة أخرى، ثم يبعث عليكم ريحًا شديدة، فيغرقكم بسبب كفركم بنعمة الله لما أنجاكم أولًا، ثم لا تجدوا لكم مطالبًا يظلمنا بما فعلنا بكم انتصارًا لكم.

﴿٧٠﴾ ولقد كرمنا ذرية آدم بالعقل وإسجاد الملائكة لأبيهم وغير ذلك، وسخرنا لهم ما يحملهم في البر من الدواب والمراكب، وما يحملهم في البحر من السفن، ورزقناهم من طيبات المأكَل والمشارب والمناجح وغيرها، وفضلناهم على كثير من مخلوقاتنا تفضيلًا عظيمًا، فعليهم أن يشكروا نعم الله عليهم.

﴿٧١﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم ننادي كل

مجموعة بإمامها الذي كانت تقتدي به في الدنيا، فمن أعطى كتاب عمله بيمينه فأولئك يقرؤون كتبهم مسرورين، ولا ينقصون من أجورهم شيئًا، وإن بلغ في صغره قدر الخيط الذي في شق النواة.

﴿٧٢﴾ ومن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى القلب عن قبول الحق والإذعان له، فهو يوم القيامة أشد عمى، فلا يهتدي لطريق الجنة، وأضل طريقًا عن الهداية، والجزاء من جنس العمل.

﴿٧٣﴾ ولقد أوشك المشركون أن يصرفوك - أيها الرسول - عما أوحينا إليك من القرآن؛ لتختلق علينا غيره مما يوافق أهواءهم، ولو فعلت ما أرادوا من ذلك لاصطفوك حبيباً.

﴿٧٤﴾ ولولا أن منّا عليك بالثبیت على الحق لقد أوشكت أن تميل إليهم بعض الميل، فتوافقهم فيما اقترحوه عليك؛ لقوة خداعهم وشدة احتيالهم مع فرط حرصك على إيمانهم، لكن عصمتك من الميل إليهم.

﴿٧٥﴾ ولو ملت إليهم فيما يقترحون عليك لأصبناك بعباد مضاعف في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ثم لا تجد نصيرًا يناصرك علينا، ويدفع عنك العذاب.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ :

- الإنسان كفور للنعم إلا من هدى الله.
- كل أمة تُدْعَى إلى دينها وكتابها، هل عملت به أم لا؟ والله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ومخالفته لها.
- عداوة المجرمين والمكذبين للرسول وورثتهم ظاهرة بسبب الحق الذي يحملونه، وليس لذواتهم.
- الله تعالى عصم النبي من أسباب الشر ومن البشر، فثبته وهداه الصراط المستقيم، ولورثته مثل ذلك على حسب اتباعهم له.

﴿٧٦﴾ ولقد أوشك الكفار أن يزجوك بعداوتهم إياك ليخرجوك من مكة، لكن منهمم الله من إخراجك حتى هاجرت بأمر ربك، ولو أخرجوك لم يبقوا بعد إخراجك إلا زمناً يسيراً. ﴿٧٧﴾ ذلك الحكم بعدم بقائهم بعدك إلا زمناً يسيراً سنة الله المطردة في الرسل من قبلك، وهي أن أي رسول أخرجته قومه من بينهم أنزل الله بهم العذاب، ولن تجد - أيها الرسول - لسنننا تغييراً، بل ستجدها ثابتة مطردة.

﴿٧٨﴾ أقم الصلاة بالإتيان بها على أتم وجه في أوقاتها من زوال الشمس عن كبد السماء، ويشمل ذلك صلاة الظهر والعصر، إلى ظلمة الليل، وتشمل المغرب والعشاء، وأتم صلاة الفجر وأطل القراءة فيها، فصلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار.

﴿٧٩﴾ ومن الليل قم - أيها الرسول - وصل بعضاً منه لتكون صلاتك زيادة لك في رفع درجاتك، متحريراً أن يعثك ربك يوم القيامة شافعاً للناس مما هم فيه من أهوال يوم القيامة، ويكون لك مقام الشفاعة العظمى الذي يحمداه الأولون والآخرون.

﴿٨٠﴾ وقل - أيها الرسول -: رب، اجعل مداخلي ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، واجعل لي من عندك حجة ظاهرة تنصرني بها على عدوي.

وَلَنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسْفِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمَنْ أَيْلَ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْءَانِ إِنْ مَاهُوَ شِفَاءً وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أُنعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بِنِعْمَةِ رَبِّهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ لَتَدَّبَّرْنَ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْمًا وَكَلِيلًا ﴿٨٦﴾

﴿٨١﴾ وقل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: جاء الإسلام، وتحقق ما وعد الله به من نصره، وذهب الشرك والكفر، إن الباطل ذاهب متلاشي لا يثبت أمام الحق.

﴿٨٢﴾ ونزل من القرآن ما هو شفاء للقلوب من الجهل والكفر والشك، وما هو شفاء للأبدان إذا رقيت به، وما هو رحمة للمؤمنين العاملين به، ولا يزيد هذا القرآن الكفار إلا هلاكاً؛ لأن سماعه يغيظهم، ويزيدهم تكديراً وإعراضاً عنه.

﴿٨٣﴾ وإذا أنعمنا على الإنسان بنعمة مثل الصحة والغنى أعرض عن شكر الله وطاعته، وتباعد تكبراً، وإذا أصابه مرض أو فقر ونحوهما كان شديد القنوط واليأس من رحمة الله.

﴿٨٤﴾ قل - أيها الرسول -: كل إنسان يعمل على طريقته التي تشابه حاله في الهداية والضلال، فربكم أعلم بمن هو أهدى طريقاً إلى الحق.

﴿٨٥﴾ ويسألك - أيها الرسول - الكفار من أهل الكتاب عن حقيقة الروح، فقل لهم: لا يعلم حقيقة الروح إلا الله، وما أعطيتم أنتم وجميع الخلق من العلم إلا قليلاً في جنب علم الله سبحانه.

﴿٨٦﴾ والله لو سئنا الذهاب بالذي أنزلنا إليك - أيها الرسول - من الوحي بمحوه من الصدور والكتب لذهبنا به، ثم لا تجد من ينصرك ويتولى رده.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • في الآيات دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له ألا يزال مُتَمَلِّقاً لربه أن يشته على الإيمان. • عند ظهور الحق يَضْمَحِلُّ الباطل، ولا يعلو الباطل إلا في الأزمنة والأمكنة التي يكسل فيها أهل الحق. • الشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب من الشبهة، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والمقاصد السيئة. • في الآيات دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر ليس في مصلحة السائل فالأولى أن يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه.

١٧٧) لكن لم نذهب به رحمة من ربك، وتركناه محفوظًا، إن فضل ربك كان عليك عظيمًا حيث جعلك رسولًا، وختم بك الأنبياء، وأنزل عليك القرآن.

ولما كان المشركون يتذرعون بأن هذا القرآن من جنس ما يقوله البشر، واقترحوا تبديله تحذاهم الله بالإتيان بمثله، فقال:

١٧٨) قل - أيها الرسول -: لئن اجتمع الإنس والجن كلهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن المنزل عليك في بلاغته، وحسن نظمه، وجزالته، لن يأتوا به أبدًا ولو كان بعضهم لبعض معينًا ونصيرًا.

١٧٩) ولقد بينا للناس في هذا القرآن، ونوعنا فيه من كل ما يُعتبر به من المواعظ والعبر والأوامر والنواهي والقصص رجاء أن يؤمنوا، فأبى معظم الناس إلا جحودًا وإنكارًا لهذا القرآن.

ولما عجزوا بدؤوا يقدمون مقترحات للتجيز، فاقترحوا ما يلي:

١٨٠) وقال المشركون: لن نؤمن بك حتى تُخرج لنا من أرض مكة عينًا جارية لا تضب.

١٨١) أو يكون لك بستان كثير الأشجار، فتجري فيه الأنهار بغزارة.

١٨٢) أو تُسقط علينا السماء - كما ذكرت - قطعًا من العذاب، أو تجيء بالله والملائكة عينًا حتى يشهدوا لك بصحة ما تدعيه.

الْأَرْحَمَةَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ١٧٧ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ١٧٨ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ١٧٩ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْجِرَ النَّاسَ مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ١٨٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَعَنْبٌ فَتَجْرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فَتَجِيرًا ١٨١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كَيْفَ سَفَا أَوْ تَأْتِي بِلَآئِكِهِ قَبِيلًا ١٨٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّىٰ تُنْزِلَ عَلَيْنَا كَيْتَابًا تَقْرُؤُهُ وَقُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ١٨٣ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ١٨٤ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمْسُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَكَّا رَسُولًا ١٨٥ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ١٨٦

١٨٣) أو يكون لك بيت مُزخرف بالذهب وغيره، أو تصعد في السماء، ولن نؤمن بأنك مرسل إن صعدت إليها إلا إذا نزلت بكتاب من عند الله مسطور نقرأ فيه أنك رسول الله. قل لهم - أيها الرسول -: سبحان ربي! هل كنت إلا بشرًا رسولًا كسائر الرسل، لا أملك الإتيان بشيء، فكيف لي أن أجيء بما اقترحتموه!؟

١٨٤) وما منع الكفار من الإيمان بالله وبرسوله، والعمل بما جاء به الرسول إلا إنكارهم أن يكون الرسول من جنس البشر، حيث قالوا استنكارًا: أبعث الله إلينا رسولًا من البشر!؟

١٨٥) قل - أيها الرسول - ردًا عليهم: لو كان على الأرض ملائكة يسكنونها ويسرون مطمئنين كما هو حالكم لبعثنا إليهم رسولًا ملكًا من جنسهم؛ لأنه الذي يستطيع أن يفهمهم ما أُرسِلَ به، فليس من الحكمة أن نرسل إليهم رسولًا من جنس البشر، وكذلك حالكم أنتم.

١٨٦) قل - أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم أني رسول إليكم، وأني بلغتكم ما أرسلت به إليكم، إنه كان بأحوال عباده محيطًا، لا يخفى عليه منها شيء، بصيرًا بكل خفايا نفوسهم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- بين الله للناس في القرآن من كل ما يُعتبر به من المواعظ والعبر والأوامر والنواهي والقصص؛ رجاء أن يؤمنوا.
- القرآن كلام الله وآية النبي الخالدة، ولن يقدر أحد على المجيء بمثله.
- من رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم بشرًا منهم، فإنهم لا يطبقون التلقي من الملائكة.
- من شهادة الله لرسوله ما أيده به من الآيات، ونصّره على من عاداه وناواه.

١٧ ومن يوفقه الله للهداية فهو المهتدي حقًا، ومن يخذله عنها ويضله فلن تجد - أيها الرسول - لهم أولياء يهدونهم إلى الحق، ويدفعون عنهم الضر، ويجلبون لهم النفع، ونحشرهم يوم القيامة يُشحبون على وجوههم لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون، منزلهم الذي يأوون إليه جهنم، كلما سكن لهيبتها زدناهم اشتعالًا.

١٨ ذلك العذاب الذي يلقونه هو جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا المنزلة على رسولنا، وبقولهم استبعادًا للبعث: إذا متنا وصرنا عظامًا بالية، وأجزاء مُفْتَتة أنبعت بعد ذلك خلقًا جديدًا؟

ولما ذكروا ما يتشبثون به لإنكار البعث رد الله عليهم بقوله:

١٩ أولم يعلم هؤلاء المنكرون للبعث أن الله الذي خلق السماوات وخلق الأرض على عظمها قادر على أن يخلق مثلهم، فمن قدر على خلق ما هو عظيم قادر على خلق ما دونه، وقد جعل الله لهم في الدنيا وقتًا محددًا تنتهي فيه حياتهم، وجعل لهم أجلًا لبعثهم لا شك فيه، ومع ظهور أدلة البعث أبى المشركون إلا جحودًا بالبعث مع وضوح أدلته.

٢٠ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفذ

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿١٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَإِنِ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٩﴾ قُلْ لَو أَنَّهُمْ تَمَلَّكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا ﴿٢٠﴾ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَكْفُرُ بِمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿٢١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلُ هَؤُلَاءَ إِلَى الْأَرْضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَكْفُرُونَ مَثْبُورًا ﴿٢٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنْ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿٢٣﴾ وَقُلْنَا مَنْ بَعْدَهُ لَبِئْسَ إِسْرَائِيلَ يَلِئكَ أَسْكَنُوا الْأَرْضَ فَأَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿٢٤﴾

ولا تنقضي، إذن لامتنعتم من إنفاقها خوفًا من نفادها حتى لا تصبحوا فقراء، ومن طبع الإنسان أنه بخيل إلا إن كان مؤمنًا، فهو ينفق رجاء ثواب الله.

ولما لقي النبي ﷺ من المشركين ما لقي من التكذيب جاءت تسليته بقصة موسى مع فرعون وقومه، فقال:

٢١ ولقد أعطينا موسى تسع دلائل واضحة تشهد له، وهي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فاسأل - أيها الرسول - اليهود حين جاء موسى أسلافهم بتلك الآيات، فقال له فرعون: إنني لأظنك - يا موسى - رجلًا مسحورًا؛ لما تأتي به من الغرائب.

٢٢ قال موسى ردًا عليه: لقد أيقنت - يا فرعون - أنه ما أنزل هذه الآيات إلا الله رب السماوات والأرض، أنزلهن دلالات على قدرته، وعلى صدق رسوله، ولكنك جحدت، وإنني لأعلم أنك - يا فرعون - هالك خاسر.

٢٣ فأراد فرعون أن يعاقب موسى ﷺ وقومه بإخراجهم من مصر، فأهلكناه ومن كان معه من جنوده جميعًا بالغرق. وقلنا من بعد إهلاك فرعون وبنوه لبيئ إسرائيل: اسكنوا أرض الشام، فإذا كان يوم القيامة آتينا بكم جميعًا إلى المحشر للحساب.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الله تعالى هو المفرد بالهداية والإضلال، فمن يهده فهو المهتدي على الحقيقة، ومن يضلله ويخذله فلا هادي له.
- ماوى الكفار ومستقرهم ومقامهم جهنم، كلما سكنت نارها زادها الله نارًا تنتهب.
- وجوب الاعتصام بالله عند تهديد الطغاة والمُستبدين.
- الطغاة والمُستبدون يلجؤون إلى استخدام السلطة والقوة عندما يواجهون أهل الحق؛ لأنهم لا يستطيعون مواجهتهم بالحجة والبيان.

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾
 وَقرءَ أَنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكَمٍّ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٦﴾
 قُلْ ءَأَمِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ءَإِذْ نُنزِّلُ
 عَلَيْهِمْ الْخُبْرَ وَهُمْ يُخْرَوْنَ لِلْآذِقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ
 وَعَدْرُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيُخْرَوْنَ لِلْآذِقَانِ يَتَّكِنُونَ وَيَزِيدُهُمْ
 خُشوعًا ﴿١٩﴾ قُلْ اذْعُوا لِلَّهِ أَوْ اذْعُوا لِلرَّحْمَنِ ءِئِنَّمَا تَدْعُوا فَلَهُ
 الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ
 بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ
 لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ رُوكٌ مِنَ الدَّلِّ وَكَبْرَةٌ تَكْبِيرًا ﴿٢١﴾

سُورَةُ الْكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾
 قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا لِمَنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ
 الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾
 مَلَائِكِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

﴿١٥﴾ وبالحق أنزلنا هذا القرآن على محمد ﷺ، وبالحق نزل عليه دون تبديل ولا تحريف، وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا مبشراً أهل التقوى بالجنة، ومخوفاً أهل الكفر والعصيان من النار. ﴿١٦﴾ وأنزلناه قرآناً فصلناه، وبيناه رجاء أن تقرأه على الناس على مهل وترسل في التلاوة؛ لأنه ادعى للفهم والتدبير، ونزلناه منجماً مفرقاً حسب الحوادث والأحوال.

﴿١٧﴾ قل - أيها الرسول -: آمنوا به، فلا يزيد إيمانكم شيئاً، أو لا تؤمنوا به، فلا ينقصه كفركم شيئاً، إن الذين قرؤوا الكتب السماوية السابقة، وعرفوا الوحي والنبوة إذا يقرأ عليهم القرآن يخرون على وجوههم ساجدين لله شكراً.

﴿١٨﴾ ويقولون في سجودهم: تنزه ربنا عن خلف الوعد، فما وعد به من بعثة محمد ﷺ كائن، إن وعد ربنا بذلك وبغيره لواقع لا محالة.

﴿١٩﴾ ويقعون على وجوههم ساجدين لله يكون من خشيته، ويزيدهم سماع القرآن وتدبر معانيه خضوعاً لله وخشية له.

﴿٢٠﴾ قل - أيها الرسول - لمن أنكر عليك الدعاء بقولك: (يا الله، يا رحمن): الله والرحمن اسمان له سبحانه فادعوه بأي منهما أو بغيرهما من أسمائه، فله - سبحانه - الأسماء الحسنى، وهذان منها، فادعوه بهما أو بغيرهما من أسمائه الحسنى، ولا تجهر بالقراءة في صلاتك فيسمعك المشركون، ولا تسر بها فلا يسمعها المؤمنون، واطلب طريقاً وسطاً بين الأمرين.

﴿٢١﴾ وقل - أيها الرسول -: الحمد لله المستحق لأنواع المحامد الذي تنزه عن الولد، وتنزه عن الشريك، فلا شريك له في ملكه، ولا يصيبه ذل وهوان، فلا يحتاج لمن يناصره ويعززه، وعظمته تعظيماً كثيراً، فلا تنسب له ولداً ولا شريكاً في الملك ولا مناصراً معيناً.

سُورَةُ الْكَهْفِ

— مَكْتَبَةٌ —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوعِ:

بيان منهج التعامل مع الفتن، وضرب النماذج لذلك.

﴿١﴾ الثناء بصفات الكمال والجلال، وبالنعمة الظاهرة والباطنة لله وحده الذي أنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ القرآن، ولم يجعل لهذا القرآن اعوجاجاً وميلاً عن الحق.

﴿٢﴾ بل جعله مستقيماً لا تناقض فيه ولا اختلاف؛ ليخوف الكافرين من عذاب قوي من عند الله ينتظروهم، ويخبر المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحات بما يسرهم أن لهم ثواباً حسناً لا يداينهم ثواب.

﴿٣﴾ خالدين في هذا الثواب أبداً، فلا ينقطع عنهم.

﴿٤﴾ ويخوف اليهود والنصارى وبعض المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولداً.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • أنزل الله القرآن متضمناً الحق والعدل والشريعة والحكم الأمثل. • جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى. • الدعاء أو القراءة في الصلاة يكون بطريقة متوسطة بين الجهر والإسرار. • القرآن الكريم قد اشتمل على كل عمل صالح موصل لما تستبشر به النفوس وتفرح به الأرواح.

⑤ ليس لهؤلاء المفترين من علم أو دليل على ما يدعونه من نسبة الولد إلى الله، وليس لأبائهم الذين قلدوهم في ذلك علم، عظمت في القبح تلك الكلمة التي تخرج من أفواههم دون تعقل، ما يقولون إلا قولاً كذباً، لا أساس له ولا مستند.

⑥ فلعلك - أيها الرسول - مهلك نفسك حزناً وأسفاً إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فلا تفعل، فليس عليك هدايتهم، وإنما عليك البلاغ.

⑦ إنا جعلنا ما فوق وجه الأرض من المخلوقات جمالاً لها لنتخبرهم أيهم أحسن عملاً بما يرضي الله، وأيهم أسوأ عملاً، لنجزى كل ما يستحقه.

⑧ وإنا لمصيرون ما على وجه الأرض من المخلوقات تراثاً خالياً من النبات، وذلك بعد انقضاء حياة ما عليها من المخلوقات، فليعتبروا بذلك.

⑨ لا تظنن - أيها الرسول - أن قصة أصحاب الكهف، ولوحهم الذي كتبت فيه أسماءهم من آياتنا العجيبة، بل غيرها أعجب مثل خلق السماوات والأرض.

⑩ اذكر - أيها الرسول - حين التجأ الشبان المؤمنون فراراً بدينهم، فقالوا في دعائهم لربهم: ربنا، أعطنا من عندك رحمة بأن تغفر ذنوبنا، وتنجيننا من أعدائنا، واجعل لنا من أمر

مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ⑤ فَلَعَلَّكَ بَلِّغِمْ فَنَقَسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ هَذَا الْحَدِيثَ أَسَمًا ⑥ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ⑦ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ⑧ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ⑨ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَعَالُوا رَبَّاءَ لِنَاسٍ لِنَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ⑩ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ⑪ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَمْ يَسُوْا أَمَدًا ⑫ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ⑬ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ⑭ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ⑮

الهجرة عن الكفار والإيمان اهتداء إلى طريق الحق وسداداً.

⑪ ثم بعد سيرهم ولجوئهم إلى الكهف ضربنا على آذانهم حجاباً عن سماع الأصوات، وألقينا عليهم النوم أوعاماً كثيرة.

⑫ ثم بعد نومهم الطويل أيقظناهم لنعلم - علمَ ظهورٍ - أي الطائفتين المتنازعتين في أمد مكثهم في الكهف أعلم بمقدار ذلك الأمد.

⑬ نحن نطلعك - أيها الرسول - على خبرهم بالصدق الذي لا مرية معه، إنهم شبان آمنوا بربهم، وعملوا بطاعته، وزدناهم هداية وتبييناً على الحق.

⑭ وقوينا قلوبهم بالإيمان والثبات عليه، والصبر على هجر الأوطان فيه، حين قاموا معلنين بين يدي الملك الكافر إيمانهم بالله وحده، فقالوا له: ربنا الذي آمننا به وعبدناه هو رب السماوات ورب الأرض، لن نعبد ما سواه من الآلهة المزعومة كذباً، لقد قلنا - إن عبدنا غيره - قولاً جائزاً بعيداً عن الحق.

⑮ ثم التفت بعضهم إلى بعض قائلين: هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله معبودات يعبدونها، وهم لا يملكون على عبادتهم برهاناً واضحاً، فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك إليه.

⑯ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • الداعي إلى الله عليه التبليغ والسعي بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فيها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا بأسف. • في العلم بمقدار لبث أصحاب الكهف، ضبط للحساب، ومعرفة لكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته. • في الآيات دليل صريح على الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال: خوف الفتنة. • ضرورة الاهتمام بتربية الشباب؛ لأنهم أزكى قلوباً، وأنقى أفئدة، وأكثر حماسة، وعليهم تقوم نهضة الأمم.

وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْ قَوْمِكَم، وَتَرَكْتُمْ مَا
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَلَمْ تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ،
فَالْجُؤُوا إِلَى الْكَهْفِ فَرَارًا بِدِينِكُمْ بِيَسْطِ لَكُمْ
رَبِّكُمْ سُبْحَانَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ مَا يَحْفَظُكُمْ بِهِ مِنْ
أَعْدَائِكُمْ وَيَحْكُمُكُمْ، وَيَسِّرُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَا
تَتَفَعَّلُونَ بِهِ مِمَّا يَعْوِضُكُمْ عَنِ الْعَيْشِ بَيْنَ ظَهْرَانِي
قَوْمِكُمْ.

﴿١٧﴾ فَامْتَثَلُوا مَا أَمَرُوا بِهِ، وَأَلْقَى اللَّهُ النَّوْمَ
عَلَيْهِمْ، وَحَفَظَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَتَرَى - أَيُّهَا
الْمُشَاهِدُ لَهُمْ - الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَشْرِقِهَا
تَمِيلُ عَنِ كَهْفِهِمْ جِهَةَ يَمِينِ الدَّاخِلِ فِيهِ، وَإِذَا
غَابَتْ عِنْدَ غُرُوبِهَا تَعْدِلُ عَنْهُ جِهَةَ شِمَالِهِ فَلَا
تَصِيبُهُ، فَهَمْ فِي ظِلِّ دَائِمٍ لَا يُؤْذِيهِمْ حَرُّ
الشَّمْسِ، وَهَمْ فِي مَتْنَعٍ مِنَ الْكَهْفِ يَنَالُهُمْ مِنَ
الْهَوَاءِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، ذَلِكَ الْحَاصِلُ لَهُمْ مِنْ
إِيْوَانِهِمْ إِلَى الْكَهْفِ، وَإِلْقَاءِ النَّوْمِ عَلَيْهِمْ،
وَانْحِرَافِ الشَّمْسِ عَنْهُمْ، وَاتِّسَاعِ مَكَانِهِمْ
وَإِنجَائِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ: مِنْ عَجَائِبِ صَنِعِ اللَّهِ
الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ، مِنْ يَوْفَقِهِ اللَّهُ لَطَرِيقِ الْهَدَايَةِ
فَهُوَ الْمَهْتَدِي حَقًّا، وَمَنْ يَخْذِلْهَا عَنْهَا وَيُضِلِّهَا فَلَنْ
تَجِدَ لَهُ نَاصِرًا يَوْفِقُهُ لِلْهَدَايَةِ، وَيُرْسِدُهُ إِلَيْهَا؛
لِأَنَّ الْهَدَايَةَ بِيَدِ اللَّهِ، وَليست بيده هُوَ.

﴿١٨﴾ وَتَظَنُّهُمْ - أَيُّهَا النَّاطِرُ إِلَيْهِمْ - مُسْتَيْقِظِينَ
لِانْفِتَاحِ أَعْيُنِهِمْ، وَالْوَاقِعِ أَنَّهُمْ نِيَامٌ، وَتَقَلِّبُهُمْ فِي
نَوْمِهِمْ تَارَةً يَمِينًا، وَتَارَةً شِمَالًا حَتَّى لَا تَأْكُلِ
الْأَرْضُ أَجْسَامَهُمْ، وَكَلْبُهُمُ الْمُرَاقِقُ لَهُمْ مَا ذَرَعِيهِ بِمَدْخَلِ الْكَهْفِ، لَوْ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ وَشَاهَدَتْهُمْ لِأَدْبَرَتِ عَنْهُمْ
هَارِبًا خَوْفًا مِنْهُمْ، وَلا مَتَلَأَتْ نَفْسُكَ رَعْبًا مِنْهُمْ.

﴿١٩﴾ وَكَمَا فَعَلْنَا بِهِمْ مِمَّا ذَكَرْنَا مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِنَا أَيْقَظْنَا هُمْ بَعْدَ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ لَيْسَ أَلِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ الْمَدَّةِ الَّتِي
مَكُوثُوا نَائِمِينَ، فَأَجَابَ بَعْضُهُمْ: مَكُنَّا نَائِمِينَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، وَأَجَابَ بَعْضُ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ تَظْهَرْ لَهُ مَدَّةٌ مَكُوثُهُمْ
نَائِمِينَ: رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَدَّةِ مَكُوثِكُمْ نَائِمِينَ، فَفَرَّضُوا إِلَيْهِ عِلْمَ ذَلِكَ وَانْشَغَلُوا بِمَا يَعْنِيكُمْ، فَأَرْسَلُوا أَحَدَكُمْ بِتَقْوَدِكُمْ
الْفِضِيَّةِ هَذِهِ إِلَى مَدِينَتِنَا الْمَعْهُودَةِ، فَلْيَنْظُرْ أَيُّ أَهْلِهَا أَطِيبُ طَعَامًا وَأَطِيبُ مَكْسَبًا، وَلْيَتَأَنَّ فِي دَخُولِهِ وَخُرُوجِهِ
وَمَعَامَلَتِهِ، وَلْيَكُنْ لَبِقًا، وَلا يَدْعُ أَحَدًا يَعْلَمُ بِمَكَانِكُمْ؛ لِمَا يَتَرْتَبِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ ضَرَرٍ عَظِيمٍ.

﴿٢٠﴾ إِنْ قَوْمِكُمْ إِنْ يَطَّلَعُوا عَلَيْكُمْ وَيَعْلَمُوا بِمَكَانِكُمْ يَقْتُلُوكُمْ بِالرَّجْمِ بِالْحِجَارَةِ، أَوْ يَرْجِعُوكُمْ إِلَى مِلَّتِهِمُ الْمُنْحَرِفَةَ
الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالْهَدَايَةِ إِلَى دِينِ الْحَقِّ، وَإِنْ رَجَعْتُمْ إِلَيْهَا فَلَنْ تَفُوزُوا أَبَدًا، لَا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، بَلْ سَتُخْسِرُونَ فِيهِمَا الْخُسْرَانَ الْعَظِيمَ بِسَبَبِ تَرْكِكُمْ دِينَ الْحَقِّ الَّذِي هَدَاكُمْ اللَّهُ إِلَيْهِ،
وَرَجُوعِكُمْ إِلَى تِلْكَ الْمِلَّةِ الْمُنْحَرِفَةِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ أَنْ قَلْبَهُمْ عَلَى جَنُوبِهِمْ يَمِينًا وَشِمَالًا بِقَدْرِ مَا لَا تَفْسُدُ الْأَرْضُ أَجْسَامَهُمْ، وَهَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ.
- جَوَازُ اتِّخَاذِ الْكَلَابِ لِلْحَاجَةِ وَالصَّيْدِ وَالْحِرَاسَةِ.
- انْتِفَاعُ الْإِنْسَانِ بِصُحْبَةِ الْأَخْيَارِ وَمُخَالَطَةِ الصَّالِحِينَ حَتَّى لَوْ كَانَ أَقَلُّ مِنْهُمْ مَنزَلَةً، فَقَدْ حَفِظَ ذِكْرَ الْكَلْبِ لِأَنَّهُ صَاحِبُ أَهْلِ الْفَضْلِ.
- دَلَّتِ الْآيَاتُ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الْوَكَالَةِ، وَعَلَى حَسَنِ السِّيَاسَةِ وَالتَّلَطُّفِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ.

﴿١١﴾ وكما فعلنا بهم الأفعال العجيبة الدالة على قدرتنا من إنامتهم سنين كثيرة، وإيقاظهم بعدها، أطلعنا عليهم أهل مدينتهم ليعلم أهل مدينتهم أن وعد الله بنصر المؤمنين وبالبعث حق، وأن القيامة آتية لا شك فيها، فلما انكشف أمر أصحاب الكهف وماتوا اختلف المُطَّلِعُونَ عليهم: ماذا يفعلون بشأنهم؟ قال فريق منهم: ابنوا على باب كهفهم بنياناً يحجبهم ويحميهم، ربهم أعلم بحالهم، فحالهم يقتضي أن لهم خصوصية عنده. وقال أصحاب النفوذ ممن ليس لهم علم ولا دعوة صحيحة: لنتخذن على مكانهم هذا مسجداً للعبادة تكريماً لهم وتذكيراً بمكانهم.

﴿١٢﴾ سيقول بعض الخائضين في قصتهم عن عددهم: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم، وكلتا الطائفتين إنما قالت ما قالته تبعاً لظنهما من غير دليل، ويقول بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم، قل - أيها الرسول -: ربي أعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلا قليل ممن علمهم الله عددهم، فلا تجادل في عددهم ولا في غيره من أحوالهم أهل الكتاب ولا غيرهم إلا جدالاً ظاهراً لا عمق فيه، بأن تقتصر على من نزل عليك وحى بشأنهم، ولا تسأل أحداً منهم عن تفاصيل شأنهم، فإنهم لا يعلمون ذلك.

وَكَذَلِكَ أَعْرَبْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ لَنَنْخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿١١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا عَآمَهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَبْدًا ﴿١٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَذَكَرْ رَبَّكَ إِذْ أَنْسَيْتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَلِيَسْأَلُوا فِي كَهْفِهِمْ تِلْكَ مِائَةٌ سِنِينَ وَازْدَادُوا نِسْعًا ﴿١٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَسْأَلُوهُ وَعَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿١٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿١٧﴾

﴿١١﴾ ولا تقولن - أيها النبي - لشيء تريد فعله غداً: إني فاعل هذا الشيء غداً؛ لأنك لا تدري هل تفعله، أو يُحال بينك وبينه؟ وهو توجيه لكل مسلم.

﴿١٢﴾ إلا أن تُعَلِّقَ فعله على مشيئة الله بأن تقول: سأفعله - إن شاء الله - غداً، واذكر ربك بقولك: إن شاء الله - إن نسيت أن تقولها - وقل: أرجو أن يرشدني ربي لأقرب من هذا الأمر هداية وتوفيقاً.

﴿١٣﴾ ومكث أصحاب الكهف في كهفهم ثلاث مئة وتسع سنين.

﴿١٤﴾ قل - أيها الرسول -: الله أعلم بما مكثوا في كهفهم، وقد أخبرنا بمدة مكثهم فيه، فلا قول لأحد بعد قوله سبحانه، له سبحانه وحده ما غاب في السماوات وما غاب في الأرض خلقاً وعلماً، ما أبصره سبحانه! فهو يبصر كل شيء، وما أسمع! فهو يسمع كل شيء، ليس لهم من دونه ولي يتولى أمرهم، ولا يشرك في حكمه أحداً، فهو المنفرد وحده بالحكم.

ولما بين ﴿١٦﴾ أن الحكم له وحده أمر رسوله بتلاوة ما أوحى إليه من حكم ربه واتباعه، فقال:

﴿١٧﴾ وقرأ - أيها الرسول - واعمل بما أوحى الله به إليك من القرآن، فلا مبدل لكلماته؛ لأنها صدق كلها وعدل كلها، ولن تجد من دونه سبحانه ملجأً تلجأ إليه، ولا معاذاً تعوذ به سواه.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- اتخاذ المساجد على القبور، والصلاة فيها، والبناء عليها؛ غير جائز في شرعنا.
- فسي القصة إقامة الحجة على قدرة الله على الحشر وبعث الأجساد من القبور والحساب.
- دلت الآيات على أن المرء والجدال المحمود هو الجدال بالتي هي أحسن.
- السنَّة والأدب الشرعيان يقتضيان تعليق الأمور المستقبلية بمشيئة الله تعالى.

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنَ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿١٧﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ
شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا
وَأَنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ
الْشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ
لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْرُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ
فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ يَتِمُّ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٠﴾ وَأَضْرِبْ
لَهُمْ مَثَلًا لَرَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٢١﴾ كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْهُمَا أُكُلُهُمَا
وَيُحْلِقُونَ قُلُوبَهُمَا مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٢٢﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٢٣﴾

﴿١٧﴾ ألزم نفسك بصحبة الذين يدعون ربهم دعاء عبادة ودعاء مسألة أول النهار وآخره، مخلصين له، لا تتجاوز عينك عنهم، تريد مجالسة أهل الغنى والشرف، ولا تطع من صيرنا قلبه غافلاً عن ذكرنا بختمننا عليه، فأمرك بتنحية الفقراء عن مجلسك، وقدم اتباع ما تهواه نفسه على طاعة ربه، وكانت أعماله ضياعاً.

﴿١٨﴾ وقل - أيها الرسول - لهؤلاء اللاهين عن ذكر الله لغفلة قلوبهم: ما جئتكم به هو الحق، وهو من عند الله لا من عندي، ولست مجيب دعوتكم إياي أن أطرده المؤمنين، فمن شاء منكم الإيمان بهذا الحق فليؤمن به، وسيستر بجزائه، ومن شاء منكم الكفر به فليكفر، وسيستاء بالعقاب الذي ينتظره، إنا أعدنا للظالمين أنفسهم باختيار الكفر ناراً عظيمة أحاط بهم سورها، فلا يستطيعون فراراً منها، وإن يطلبوا غوثاً بماء من شدة ما يلاقون من العطش يغاثوا بماء كالزيت العكر شديد الحرارة، يشوي وجوههم من شدة حره، ساء شراباً هذا الشراب الذي يغاثون به، فهو لا يغني من عطش بل يزيد، ولا يطفى اللهب الذي يلفح جلودهم، وساءت النار منزلاً ينزلونه، ومقاماً يقيمون فيه.

ولما ذكر الله ما أعد للظالمين من عذاب ذكر ما أعد للمؤمنين من ثواب كريم، فقال:

﴿٢٤﴾ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات قد أحسنوا عملهم فلهم ثواب عظيم، إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً، بل نوفيهم أجورهم كاملة غير منقوصة.

﴿٢٥﴾ أولئك الموصوفون بالإيمان وفعل الأعمال الصالحات لهم جنات إقامة يقيمون فيها أبداً، تجري من تحت منازلهم أنهار الجنة العذبة، يزتون فيها بأسورة من ذهب، ويلبسون ثياباً خضراً من رقيق الحرير وغلظته، يتكون على الأسرة المزينة بالستائر الجميلة، حسن الثواب ثوابهم، وحسنت الجنة منزلاً ومقاماً يقيمون فيه.

ولما بين سبحانه جزاء الظالمين وجزاء المؤمنين ضرب مثلاً لهما، فقال:

﴿٢٦﴾ واضرب - أيها الرسول - مثلاً لرجلين: كافر ومؤمن، جعلنا للكافر منهما حديقتين، وأحطنا الحديقتين بنخل، وأنبتنا في الفارغ من مساحتهما زروعاً.

﴿٢٧﴾ فأثمرت كل حديقة ثمارها من تمر وعنب وزرع، ولم تنقص منه شيئاً، بل أعطته وافيًا كاملاً، وأجرنا بينهما نهراً لسقيهما بيسر.

﴿٢٨﴾ وكان لصاحب الحديقتين أموال وثمار أخرى، فقال لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه ليؤثر فيه مُعْتَرًا: أنا أكثر منك أموالاً، وأعز منك جانباً، وأقوى عشيرة.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • فضيلة صحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم وإن كانوا فقراء؛ فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يُحصى. • كثرة الذكر مع حضور القلب سبب للبركة في الأعمار والأوقات. • قاعدتنا الثواب وأساس النجاة: الإيمان مع العمل الصالح؛ لأن الله رتب عليهما الثواب في الدنيا والآخرة.

﴿٦٥﴾ ودخل الكافر حديقته في صحبة المؤمن ليريه إياها وهو ظالم لنفسه بالكفر وبالعجب قال الكافر: ما أظن أن تفني هذه الحديقة التي تشاهدها؛ لما اتخذت لها من أسباب البقاء.

﴿٦٦﴾ وما أظن أن القيامة حادثة، إنما هي حياة مستمرة، وعلى فرض وقوعها فإذا بُعثت وأُرِجعت إلى ربي لأجدن بعد البعث ما أرجع إليه مما هو أفضل من حديقتي هذه، فكوني غنياً في الدنيا يقضي أن أكون غنياً بعد البعث.

﴿٦٧﴾ قال له صاحبه المؤمن وهو يراجعه الكلام: أكفرت بالذي خلق أباك آدم من تراب، ثم خلقك أنت من المني، ثم صيرك إنساناً ذكراً، وعدل أعضائك وجعلك كاملاً، فالذي قدر على ذلك كله قادر على بعثك.

﴿٦٨﴾ لكن أنا لا أقول بقولك هذا، وإنما أقول: هو الله سبحانه ربي المتفضل بنعمه علينا، ولا أشرك به أحداً في العبادة.

﴿٦٩﴾ هلاً حين دخلت حديقتك قلت: ما شاء الله لا قوة لأحد إلا بالله، فهو الذي يفعل ما يشاء وهو القوي، فإن كنت تراني أفقر منك وأقل أولاداً.

﴿٧٠﴾ فأنا أتوقع أن يعطيني الله خيراً من حديقتك، وأن يبعث على حديقتك عداباً من السماء، فتصبح حديقتك أرضاً لا نبات فيها تزلق فيها الأقدام لمُلوستها.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٦٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِمَّا مُنِقَلَبًا ﴿٦٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ وَأَكَفَرَتْ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ مِنْ سَوْنِكَ رَجُلًا ﴿٦٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٦٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَوْ لَدَا ﴿٦٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٧٠﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاوًا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٧١﴾ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٧٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٧٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٧٤﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيُوتِ الَّتِي لَا دُنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٧٥﴾

﴿١﴾ أو يذهب ماؤها غائراً في الأرض فلا تستطيع الوصول إليه بوسيلة، وإذا غار ماؤها فلا بقاء لها.

﴿٢﴾ وَتَحَقَّقْ ما توقعه المؤمن، فأحاط الهلاك بثمار حديقة الكافر، فأصبح الكافر يقبل كفيه من شدة الحسرة والندم على ما بذل في عمارتها وإصلاحها من أموال، والحديقة ساقطة على دعائمها التي تُمَدَّد عليها أغصان العنب، ويقول: يا ليتني آمنت بربي وحده، ولم أشرك معه أحداً في العبادة.

﴿٣﴾ ولم تكن لهذا الكافر جماعة يمنعونه مما حلَّ به من عقاب، وهو الذي كان يفتخر بجماعته، وما كان هو ممنوعاً من إهلاك الله لحديقته.

﴿٤﴾ في ذلك المقام النصره لله وحده، هو سبحانه خيرٌ ثواباً لأولياؤه من المؤمنين، فهو يضاعف لهم الثواب وخير عاقبة لهم.

﴿٥﴾ واضرب - أيها الرسول - للمُعْتَرِّين بالدنيا مثلاً، فمثلها في زوالها وسرعة انقضائها مثل ماء مطر أنزلناه من السماء، فنبت بهذا الماء نبات الأرض وأُنبغ، فأصبح هذا النبات منكسراً متفتتاً، تحمل الرياح أجزاءه إلى نواح أخرى، فتعود الأرض كما كانت، وكان الله على كل شيء مقتدرًا، لا يعجزه شيء، فيحيي ما شاء، ويفني ما شاء.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • على المؤمن ألا يستكين أمام عزة الغني الكافر، وعليه نصحه وإرشاده إلى الإيمان بالله، والإقرار بوحديانيته، وشكر نعمه وأفضاله عليه. • ينبغي لكل من أعجبه شيء من ماله أو ولده أن يضيف النعمة إلى مولئها ومُسئدئها بأن يقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. • إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا. • جواز الدعاء بتلف مال من كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه.

الْمَالِ وَالْأَوْلَادِ مِمَّا يُتَرَكِّينَ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا نَفْعَ لِلْمَالِ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا إِنْ أَنْفَقَ فِيهَا مَا يَرْضَى اللَّهُ، وَالْأَعْمَالُ وَالْأَقْوَالُ الْمَرْضِيَّةُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ ثَوَابًا مِنْ كُلِّ مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ زِينَةٍ، وَهِيَ خَيْرٌ مَا يُؤْمَلُهُ الْإِنْسَانُ؛ لِأَنَّ زِينَةَ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ وَثَوَابُ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الْمَرْضِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ بَاقٌ.

﴿٤٧﴾ وَادْكُرْ يَوْمَ نُزِّلَ الْجِبَالُ مِنْ مَوَاطِنِهَا، وَتَرَى الْأَرْضَ ظَاهِرَةً لِرُؤُوسِ مَا عَلَيْهَا مِنْ جِبَالٍ وَشُجَرٍ وَبِنَاءٍ، وَجَمَعْنَا جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَلَمْ نَتْرِكْ مِنْهُنَّ أَحَدًا إِلَّا بَعَثْنَاهُ.

﴿٤٨﴾ وَعَرَضْنَا النَّاسَ عَلَى رَبِّكَ صَفُوفًا فَيَحَاسِبُهُمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى حِفَاةٍ عِرَاقٍ غُرًّا لِكَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ لَنْ تَبْعَثُوا، وَأَنَا لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ زَمَانًا وَمَكَانًا نَجَازِيكُمْ فِيهِ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿٤٩﴾ وَوَضَعْنَا كِتَابَ الْأَعْمَالِ، فَمَنْ أَخَذَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَمَنْ أَخَذَ إِيَّاهُ بِشِمَالِهِ، وَتَرَى - أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - الْكَافِرِينَ خَائِفِينَ مِمَّا فِيهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَا قَدِمُوا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَيَقُولُونَ: يَا هَلَاكُنَا وَمَصِيبَتُنَا! مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَتْرِكُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً مِنْ أَعْمَالِنَا إِلَّا حَفِظَهَا وَعَدَّهَا، وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا فِي حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا مِنَ الْمَعَاصِي مَكْتُوبًا مُثَبَّتًا، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - أَحَدًا، فَلَا يَاقُبُ أَحَدًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، وَلَا يَنْقُصُ الْمَطِيعَ مِنْ أَجْرِ طَاعَتِهِ شَيْئًا.

﴿٥٠﴾ وَادْكُرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ: اسْجُدُوا لِآدَمَ سَجُودَ تَحِيَّةٍ، فَسَجَدُوا كُلُّهُمْ لَهُ امْتِثَالًا لِأَمْرِ رَبِّهِمْ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ عَنِ السُّجُودِ، فَخَرَجَ عَنِ طَاعَةِ رَبِّهِ، أَفْتَتَخَذُونَهُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ وَأَوْلَادُهُ أَوْلِيَاءَ تَوَالُونَهُمْ مِنْ دُونِي وَهُمْ أَعْدَاءُ لَكُمْ، فَكَيْفَ تَتَخَذُونَ أَعْدَاءَكُمْ أَوْلِيَاءَ لَكُمْ؟! بَشْسَ وَفَبِحَ صَنِيعِ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الشَّيْطَانَ وَلِيًّا لَهُمْ بَدَلًا مِنْ مَوَالَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿٥١﴾ هُوَ لِأَنَّ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي هُمْ عِبِيدُ أَثْمَالِكُمْ، مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حِينَ خَلَقْتَهُمَا، بَلْ لَمْ يَكُونُوا مَوْجُودِينَ، وَمَا أَشْهَدْتُ بَعْضَهُمْ خَلْقَ بَعْضٍ، فَأَنَا الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضْلِينَ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ أَعْوَانًا، فَأَنَا غَنِيٌّ عَنِ الْأَعْوَانِ.

﴿٥٢﴾ وَادْكُرْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا: ادْعُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ لِي لَعَلَّهُمْ يَنْصُرُونَكُمْ، فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعَائِهِمْ وَلَمْ يَنْصُرُوهُمْ، وَجَعَلْنَا بَيْنَ الْعَابِدِينَ وَالْمَعْبُودِينَ مَهْلَكًا يَشْتَرِكُونَ فِيهِ، وَهُوَ نَارُ جَهَنَّمَ.

﴿٥٣﴾ وَعَايِنِ الْمُشْرِكِينَ النَّارَ، فَأَيَّقِنُوا تَمَامَ الْيَقِينِ أَنَّهُمْ وَاقَعُوا فِيهَا، وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَكَانًا يَنْصُرُونَ إِلَيْهِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عَلَى الْعَبْدِ الْإِكْتِرَارُ مِنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ، وَهِيَ كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ يَبْقَى لِلْآخِرَةِ.
- عَلَى الْعَبْدِ تَذَكُّرُ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَالْعَمَلُ لِهَذَا الْيَوْمِ حَتَّى يَنْجُوَ مِنْ أَهْوَالِهِ، وَيَنْعَمَ بِجَنَّةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ.
- كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى أَبَانَ آدَمَ ﷺ وَالْجِنْسَ الْبَشَرِيَّ بِأَجْمَعِهِ بِأَمْرِهِ الْمَلَائِكَةِ أَنْ تَسْجُدَ لَهُ فِي بَدَنِ الْخَلْقِ سَجُودَ تَحِيَّةٍ وَتَكْرِيمٍ.
- فِي الْآيَاتِ الْحَثُّ عَلَى اتِّخَاذِ الشَّيْطَانِ عَدُوًّا.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا
 إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ
 الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
 إِلَّا الْمُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
 لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِنَا وَمَا نُذِرُوا هُزُولًا ﴿٥٦﴾
 وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ
 مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ
 وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا
 أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا
 لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ
 مَوْيَلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْتُمْ لَمَّا ظَلَمْتُمْوَا وَجَعَلْنَا
 لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا آتِبِحْ حَتَّىٰ
 أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ
 بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

﴿٥٤﴾ ولقد بينا ونوعنا في هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ الكثير من أنواع الأمثال ليتذكروا ويتعظوا، لكن الإنسان - وخاصة الكافر - أكثر شيء يظهر منه المجادلة بغير الحق.

﴿٥٥﴾ وما حال بين الكفار المعاندين وبين الإيمان بما جاء به محمد ﷺ من ربه، وما حال بينهم وبين طلب المغفرة من الله لذنوبهم نقص البيان، فقد ضربت لهم الأمثلة في القرآن، وجاءتهم الحجج الواضحة، وإنما منعهم طلبهم - بتعتت - إيقاع عذاب الأمم السابقة عليهم، ومعاينة العذاب الذي وعدوا به.

﴿٥٦﴾ وما نبعث من نبعث من رسلنا إلا مبشرين أهل الإيمان والطاعة، ومخوفين أهل الكفر والعصيان، وليس لهم تسلط على القلوب بحملها على الهداية، وبخاصم الذين كفروا بالله الرسل مع وضوح الدليل لهم؛ ليزيلوا بباطلهم الحق المنزل على محمد ﷺ، وصيروا القرآن وما حُوفوا به أضحوكة وسخرية.

﴿٥٧﴾ ولا أحد أشد ظلماً ممن ذُكر بآيات ربه، فلم يعبأ بما فيها من وعيد بالعذاب، وأعرض عن الاعتاظ بها، ونسي ما قدم في حياته الدنيا من الكفر والمعاصي ولم يتب منها، إنا جعلنا على قلوب من هذا وصفهم غغطية تمنعها من فهم القرآن، وفي آذانهم صمماً عنه، فلا يسمعونه سماع قبول، وإن تدعهم إلى الإيمان فلن

يستجيبوا لما تدعوهم إليه أبداً ما دامت على قلوبهم غغطية، وفي آذانهم صم.

﴿٥٨﴾ ولئلا يتسوّف النبي ﷺ إلى معاجلة المكذبين به بالعذاب، قال الله له: وربك - أيها الرسول - الغفور لذنوب عباده التائبين، ذو الرحمة التي وسعت كل شيء، ومن رحمته أنه يمهّل العصاة لعلهم يتوبون إليه، فلو أنه تعالى يعاقب هؤلاء المعرضين لعجل لهم العذاب في الحياة الدنيا، لكنه حلیم رحيم، أخر عنهم العذاب ليتوبوا، بل لهم مكان وزمان محددان يجازون فيه على كفرهم وإعراضهم إن لم يتوبوا، لن يجدوا من دونه ملجأً يلجئون إليه.

﴿٥٩﴾ وتلك القرى الكافرة القريبة منكم مثل قري قوم هود وصالح وشعيب أهلكتهم حين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، وجعلنا لإهلاكهم وقتاً محدداً.

﴿٦٠﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال موسى ﷺ لخادمه يوشع بن نون: لا أزال أسير حتى أصل ملتقى البحرين، أو أسير زمناً طويلاً إلى أن ألقى العبد الصالح، فأتعلم منه.

﴿٦١﴾ فسارا، فلما وصلا ملتقى البحرين نسيا سمكتهما التي اتخذها زاداً لهما، فأحيا الله السمكة، واتخذت طريقاً في البحر مثل السرداب، لا يلتئم الماء معه.

• **مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:** • عظمة القرآن وجلالته وعمومه؛ لأن فيه كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر. • من حكمة الله ورحمته أن تقيضه المبطلين المجادلين الحق بالباطل من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق، وتبين الباطل وفساده. • في الآيات من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه أن يحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مُرْهَبٍ وزاجر عن ذلك. • فضيلة العلم والرحلة في طلبه، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم. • الحوت يطلق على السمكة الصغيرة والكبيرة ولم يرد في القرآن لفظ السمك، وإنما ورد الحوت والنون واللحم الطري.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي جَاءْتُكَ لَأَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ وَإِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ هَذَانِ صَبْرًا ﴿٦٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيَيْتَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَيْتُهُ إِلَّا الشَّيْطَانَ أَنِ ادَّكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٧﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْسَلْنَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٨﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا اتَّبَعَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٩﴾ قَالَ لَهُ وَمُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَ مِن مِّمَّا عَلَّمْتَ رَسُولًا ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧١﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٣﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٤﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَتْهَا قَالَ أَخْرِقْهَا لِتُعْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٧﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٨﴾

﴿٦٦﴾ فلما تعديا ذلك المكان، قال موسى ﷺ لخادمه: أتنا طعام الغدوة، لقد لقينا من سفرنا هذا تعبًا شديدًا.

﴿٦٧﴾ قال الغلام: أ رأيت ما حصل حين التجأنا إلى الصخرة؟! فإني نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، وما أنساني أن أذكره لك إلا الشيطان، فقد حَيَّبَ الحوت، واتخذ له طريقًا في البحر يحمل على التعجب.

﴿٦٨﴾ قال موسى ﷺ لخادمه: ذلك ما كنا نريد، فهو علامة مكان العبد الصالح، فرجعا يتتبعان آثار أقدامهما؛ لتلا يضيعا عن الطريق حتى انتها إلى الصخرة، ومنها إلى مدخل الحوت.

﴿٦٩﴾ فلما وصلا مكان فقد الحوت وجدا عنده عبداً من عبادنا الصالحين (وهو الخضر ﷺ)، أعطيناها رحمة من عندنا، وعلمناه من عندنا علماً لا يطلع عليه الناس، وهو ما تضمنته هذه القصة.

﴿٧٠﴾ قال له موسى في تواضع وتلطف: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله من العلم ما هو رشاد إلى الحق؟

﴿٧١﴾ قال الخضر: إنك لن تطيق الصبر على ما تراه من علمي؛ لأنه لا يوافق ما لديك من علم.

﴿٧٢﴾ وكيف تصبر على ما ترى من الأفعال التي لا تعلم وجه الصواب فيها؛ لأنك تحكم فيها بمبلغ علمك؟!

﴿٧٣﴾ قال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً على ما أرى منك من أفعال، ملتزماً بطاعتك، لا أعصي لك أمراً أمرتني به.

﴿٧٤﴾ قال الخضر لموسى: إن اتبعتني، فلا تسألني عن شيء مما تشاهدني أقوم به حتى أكون أنا البادئ بتبيين وجهه.

﴿٧٥﴾ فلما اتفقا على ذلك انطلقا إلى ساحل البحر حتى لقيا سفينة، فركبا فيها دون أجره تكرمه للخضر، فخرق الخضر السفينة بقلع لوح من ألواحها، فقال له موسى: أخرقت السفينة التي حملنا أهلها فيها بغير أجره رجاء أن تُغرق أهلها؟! لقد أتيت أمراً عظيماً.

﴿٧٦﴾ قال الخضر لموسى: ألم أقل: إنك لن تطيق معي صبراً على ما ترى مني؟!

﴿٧٧﴾ قال موسى للخضر: لا تؤاخذني بسبب تركي لعهدك نسباً، ولا تضيق علي وتشدد في صحبتك.

﴿٧٨﴾ فانطلقا بعد نزولهما من السفينة يمشيان على الساحل، فأبصرا غلاماً لم يبلغ الحلم يلعب مع غلمان، فقتله الخضر، فقال له موسى: أقتلت نفساً طاهرة لم تبلغ الحلم دونما ذنب؟! لقد أتيت أمراً منكراً!!

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• استحباب كون خادم الإنسان ذكياً فطناً كئيباً لئيم له أمره الذي يريد. • أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به، وأن الموافق لأمر الله يُعان ما لا يُعان غيره. • التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه بالطف خطاب. • النسيان لا يقتضي المؤاخظة، ولا يدخل تحت التكليف، ولا يتعلق به حكم. • تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتممَّ فيه ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة. • إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها.